خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠٠٨/١٢/١٩

في مسجد بيت الفتوح بلندن

۞۞۞۞۞۞

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

يصاب مئات الملايين من الناس في الدنيا بمختلف الأمـــراض. فـــإذا زرتم أي مستشفى كبير فستجدون كأن العالم يعج بالمرضى ولا يسكنه غيرهم ولـــيس فيه أي سليم. في الدول الغربية المتقدمة هناك تسهيلات ومرافق كثيرة للعلاج ينتفع بها أهلها، لكن إذا استعرضتم الأوضاع في البلاد الفقيرة من العالم الثالث فستجدون مئات الآلاف من المرضى لا يقدرون على العلاج لفقرهم وانعدام الوسائل لديهم، ويعيشون في منتهى البؤس والمعاناة ويقضون أيام المـــرض في

حالة يرثى لها. ونفس الحال بالنسبة إلى المستشفيات في تلك البلدان؛ حيث إذا ذهب الإنسان إلى المستشفى لا يجد فيه مرافق وتسهيلات كافية. وإذا تيسرت التسهيلات لا يوجد أطباء، ومن ثم لا يتمكن الإنسان من العلاج والمداواة.

ما أريد قوله هو إن مئات الألوف من الناس في العالم يتعرضون للأمراض، والذين قُدِّر لهم الشفاء والصحة – فهم كما قلت – ينالون الشفاء ويستعيدون الصحة. كذلك يكون عدد كبير منهم قد بلغوا أجلهم المسمى حيث لا ينفعهم أي علاج ولا يجديهم دواء. وكثير منهم يصابون بالأمراض نتيجة أخطائهم رغم أنهم يبدون أصحاء في الظاهر ويكونون في مقتبل العمر، لكنهم يصابون بمرض بسيط في الظاهر ثم يستفحل فجأة ولا يتماثلون للشفاء رغم خضوعهم للعلاج ورغم استخدامهم جميع الوسائل الممكنة لحماية حياتهم. بل يوافيهم أجلهم المسمى وتنتهي حياتهم. وفي الوقت نفسه هناك أناس في العالم – في كثير من البلدان كما قلت – لا يتيسر لهم العلاج أو لا يقدرون عليه لفقرهم، ورغم ذلك ينجيهم الله من الأمراض ويعيشون طويلا. كما أن هناك أناسا يفشل علاجهم ولكنهم يستعيدون الصحة بسبب دعائهم أو دعاء أحد الصلحاء في حقهم. ويجب أن تلفت هذه الأمور كلها انتباه الإنسان الفطن إلى أن يفكر وينتبه – ويجب أن يكون الأمر كذلك– إلى أن التمكن من الشفاء بالعلاج أو بدونه، وكذلك عدم التمكن من الشفاء رغم العلاج، وراءه قوة عظمى تعمل عملها خلف كل هذه العوامل. هناك ذات يتسبب في الحقيقة في الشفاء. وكما قلت سابقا ينجو الإنسان أحيانا من براثن الموت لمجرد رفع أكفّ الضراعة أمام الله ﷻ بدون أي علاج أو بعد فشل جميع محاولات العلاج. وهذا يدل على أن الشفاء لا يكمن في العلاج أو تناول الدواء، بل إن الله ﷻ هو وحده الشافي في حالة العلاج وعدمه. وهذا

ما علَّمَنا الإسلام، وفي ذلك يجب أن يوقن المؤمن يقينا كاملا. غير أن شخصا بسيطا يظل يفكر في الموضوع ولكن المؤمن الحقيقي يوقن بأن الشافي الحقيقي هو الله ﷻ وحده. فكلما شُفي مريض أمام أعين أي مؤمن يتقوّى إيمانه بالله الشافي. ولا تتجلى صفة الله "الشافي" عندما يشفي الله الناسَ فحسب، بل إن صفته ﷻ هذه تتجلّى في كل ذي روح من الحيوانات والدواب والطيور وحتى في النباتات. في هذه الأيام يقوم الإنسان بأبحاث على الحيوانات حيث تُعالج الحيوانات أيضا وتُولَى العنايةُ لصحتها، كما تتم البحوث على الأشجار فيتم علاجها. فالله ﷻ يرشد الإنسان إلى أساليب العلاج والأدوية لمعالجة أمراض معينة، فإذا استخدمها الإنسان بطريقة سليمة نال الشفاء. خذوا الزراعة مثلا في هذا العالم المادي المعاصر، حيث يكتشف العلماء آفات كثيرة للأشجار والمزروعات وبالتالي تعالَج. وقد أودع الله خيرا في تلك الأدوية والعلاجات. وكذلك في علاج الحيوانات، فثمة بحوث تُجرى على الحيوانات البرية بالإضافة إلى الحيوانات الأليفة، لكن الإنسان الذي هو أشرف المخلوقات فقد هيَّأ الله من أجل شفائه الروحاني الوسائلَ بالإضافة إلى شفائه المادي، حيث يرسل ﷻ أنبياءه وأولياءه في الدنيا من أجل تقدُّمه في الروحانية ولتقريبه منه ﷻ ولإزالة أمراضه الروحانية. وإذا استخدم الإنسان عقله على النحو الصحيح خرّ على عتبات الله ﷻ على الدوام شكرا على أنه ﷻ قد هيأ لشفائه الروحاني والمادي الوسائل المختلفة. الآن سأحدثكم عن الأمراض المادية وكيف أعدّ الله تعالى الوسائل لشفاء عباده من الأمراض المادية المتنوعة، بل قد كلّف الإنسانَ لعلاج المخلوقات الأخرى أيضا.

وكما أخبرت من قبل، يُجري الإنسان بحوثا كثيرة حول أمراض الحيوانات عدا الناس، والبحوث التي تجري حول أمراض بني البشر والجهود

المبذولة لعلاجها فاقت الحدّ والحصر. ففي البلدان الكبيرة المتقدمة تنفَق أحيانا مبالغ فلكية على الصحة. فاكتشاف الأدوية الجديدة يوميا في العصر الراهن والتكنولوجيا الحديثة والأساليب الحديثة تساعد كلها في شفاء المرضى. ذلك لأن الإنسان استخدم العقل الذي وهبه الله ﷻ إياه فظهرت له هذه الطرق للعلاج. اليوم قد ارتفعت نسبة الشفاء من الأمراض في العالم المتطور كثيرا وتحسن مستوى الصحة في العالم المتقدم. فثمة أنواع من العلاج لم تكن لتخطر على بال الإنسان قبل بضعة عقود، غير أن الله ﷻ لا يشفي بعض المرضى في بعض الحالات التي يكون الأطباء واثقين مائة بالمائة في شفائها ليُشعر الإنسان أنه ليس هو الشافي بل إنما الشفاء بيد الله تعالى وحده. فنظرُ المؤمن يجب أن يبقى متوجها إلى ربه الشافي دائما حتى في مرضه. فقد قال رسولُ الله ﷺ لأحد الأطباء الذي كان يتباهى ويزهو بخبرته في العلاج: إن الطبيب الحقيقي هو الله ﷻ وحده أما أنت فتقوم بمواساة المريض فحسب، والطبيب والمعالج الحقيقي لهذا المرض فهو الله الذي خلقه. فكل ما يظهر ويمثل للعيان فإنما من الله ﷻ حتى الأمراض، أو يتعرض الإنسان لبعض الأمراض كنتيجةٍ طبيعية لأعماله وتصرفاته.

وفي هذا الزمن أيضا ظهر تصرف مماثل من المطيع الكامل والخادم الصادق لسيده ومطاعه ﷺ، فسيدنا مرزا غلام أحمد القادياني المسيح الموعود عليه السلام هو الآخر لم يعجبه الطبيب الذي كان يزعم أنه طبيب حاذق ومختص – ويبدو أنه لم يكن لديه أي يقين وتوكل على الله ﷻ – فرفض حضرته أن يتعالج على يده. ففي بيان هذه القصة كتب حضرة المنشي ظفر أحمد الكبورتهلوي رضي الله عنه فقال: كان حضرته عليه السلام يعاني من الدُوار فأُخبِر عن طبيب متخصص في علاج هذا المرض، فجيء به من مكان بعيد مقابل أجرة لا بأس بها، فعندما

فحص الطبيبُ حضرتَه عليه السلام قال: سوف أريحك وأشفيك خلال يومين. وعند سماع هذا الكلام ذهب حضرته إلى داخل بيته وأرسل إلى سيدنا نور الدين رضي الله عنه وريقة كتب فيها: لا يحلو لي العلاج على يد هذا الرجل لأنه يدَّعي الألوهية، وأرسل أجرة السفر له وزاد عليه خمسا وعشرين روبية وأمر أن يعاد فأعيدَ.

فهذه هي تصرفات أهل الله أنهم يوقنون بالله يقينا تاما حتى في أثناء المرض، ويكون توكلهم الكلّي على الله سبحانه وتعالى وحده لا على أيِّ طبيب أو دواء. فهذا القول وهذه الأسوة التي تركها لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمُه البار سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في هذا الزمن الذي تظهر فيه الاكتشافات والابتكارات الحديثة من ماكينات تساعد على إبقاء المريض على قيد الحياة لبعض الوقت، أو يمكن بواسطتها استعادة رمق الحياة لبعض الوقت. كما ابتُكرت أساليب وطرق مختلفة حديثة للعمليات الجراحية أيضا. وبناء على كل ذلك فقد طالت أعمار الناس كثيرا. فالمرض الذي كان يُعَدُّ مستعصيا قبل سنين يعتبر الشفاء منه اليوم أمرا عاديا هيِّنا. يجب أن لا يقودنا هذا التقدم الهائل إلى الظن بأن الإنسان – والعياذ بالله – قد صار شريكا في حكم الله سبحانه وتعالى أو في صفاته، كلا بل إنه منة الله تعالى أنه وهب للإنسان عقلا يكتشف به أنواعا جديدة للعلاج. ونتيجة لذلك يكرم الله الإنسان بالشفاء بفضله تعالى. ألا إن الشافي هو الله سبحانه وتعالى وحده، أما الإنسان فكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يسعه غيرُ القيام بالمواساة والتعاطف تجاه المريض.

يجب على كل باحث في علاج الأمراض وعلى كل طبيب ومعالج أن يسعى جاهدا لإزالة المرض بدافع المواساة والتعاطف مع نوع البشر، لأن هذا ما يليق بالمؤمن. إن الأطباء من عامة المسلمين لا يفكرون على هذا النحو، أما تفكير

الأحمديين فيجب أن يكون على هذا المسار. فكل طبيب أو معالج أحمدي يجب أن يتحلى بهذا الخلق أي يجب أن يكون مواسيا ومتعاطفا مع مريضه. إن الأطباء الأحمديين في ربوة وفي مستشفياتنا في أفريقيا أيضا يكتبون – بفضل الله تعالى– على وصفاتهم الطبية جملة "هو الشافي". وإذا بدأ كل طبيب في العالم بكتابة هذا، ثم لو كتب تحتها ترجمتها أيضا فهذا سيترك تأثيرا جيدا على الآخرين. كما سيجذبون لأنفسهم أيضا أفضالَ الله ﷻ أيضا وبالتالي سيبارك الله في علاجهم ويشفي مرضاهم. وأغلب ظني أن الأطباء القدامى يعملون بهذا وقد يكون هناك بعض الأطباء الشباب لا يعيرونها اهتماما لائقا، فها أنا ألفت انتباههم أيضا إلى هذا الأمر. يجب على كل معالج مسلم أحمدي أن يضع في حسبانه أولا أنه يعالج المريض بالعقل والعلم الذي وهبه الله ﷻ غير أن الشافي الحقيقي هو الله ﷻ وحده. ويقول بلسان حاله إذا أراد الله بارك في علاجي. والبديهي أنه لو فكر جميع الأطباء على هذا المنوال لانتبهوا إلى الدعاء أيضا. وإذا نشأ لديهم الاهتمام بالدعاء وازدادت قدرتهم على الشفاء فسوف يزدادون يقينا بالله ﷻ وهكذا سيتقدمون في الروحانية. وكذلك يجب على المريض أن لا يفكر أنه إذا عالجه الطبيب الفلاني فسوف يشفى، أو أن المستشفى الفلاني أفضل من غيره فإذا توجهت إليه للعلاج فسأنال الشفاء حتما. صحيح أن على الإنسان أن يستفيد من المرافق والتسهيلات المتوفرة ولكن لا يجوز الاتّكال عليها، بل ينبغي أن نؤمن يقينا بأن الشافي هو الله ﷻ. وإذا أذن فسوف أنال الشفاء، لذا يجب على المريض أيضا أن يتضرع إلى الله أن يكرم الطبيب – الذي يتداوى عنده – بالشفاء ويلهمه العلاج الصحيح. يجب على كل مسلم أحمدي أن يتوكل على الله دائما ويدعوه ﷻ أن يشفيه الله بفضله.

الرسائل التي أتلقاها من أفراد الجماعة التي يطلبون فيها مني الدعاء لأنفسهم أو لبعض أقاربهم يظهر منها أن المسلم الأحمدي يتوكل كليا على الله ﷻ ويوقن به، ورغم ذلك يساور بعضَ الطبائع الشكُّ أحيانا بأنهم سيُشفون على يد طبيب محدّد حصرا. وهذا أيضا يندرج تحت الشرك الخفي، وفي هذا الصدد ثمة أحداث كثيرة معروفة في حياة سيدنا نور الدين ﷺ الخليفة الأول لسيدنا المسيح الموعود ﷺ الذي كان طبيبا حاذقا، وفيما يلي أقدِّم لكم واحدة منها فقط، حيث يقول حضرته:

"كان ابن إحدى أخواتي قد أصيب بالزُّحار فمات. ثم وصلتُ هناك بعد بضعة أيام. وكانت أختي قد شاهدت فيما سبق شخصا مصابا بالزحار شُفي على يدي، فقالت لي: يا أخي لو جئت من قبل لنجا ابني من الموت. قلتُ: سوف يكون لك ابن آخر وسيصاب بالزحار بين ظهرانيّ ويموت. فحملت وأنجبت ولدا جميلا، وأصيب بالزحار. ولما كانت أختي تذكر ما قلتُ سابقا فقالت: أرجو أن تدعو له. قلتُ: إن الله تعالى سوف يعوضك بابن آخر، وأما هذا فإنه ميت لا محالة، فهكذا كان. ثم رُزقت بابن وعاش طويلا، ولديه وظيفة وعمل. كل هذا كان نتيجة الغيرة الإلهية."

ثمة قصة مماثلة للدكتور مير محمد إسماعيل ﷺ حيث يقول: كنت أعمل جراحا في مستشفى "مِيو" بلاهور في ١٩٠٧م حيث جاءت لزيارة زوجتي أختُها الكبيرة – وكانت ابنة عمتي أيضا – فأقامت عندنا في البيت قرابة شهر. وكان قد سبق أن ماتت ابنتها بعد أشهر من الولادة. وكانت قد جاءت إلى أختها الصغيرة لتخفيف صدمة الموت. فكانت تقول مرارا: لو كان زوج أختي الدكتور إسماعيل عندي لما ماتت ابنتي. وعندما أكثرت من هذا القول ثارت غيرتي لله فقلت: سوف تلدين ابنا وسوف يصيبه المرض وسوف

يخضع للعلاج عندي وسيموت حتما. وبعد مرور الوقت صار هذا الكلام في طي النسيان. ثم أنجبتْ ولدا وجاءتنا في زيارة أختها بعد قضاء فترة النفاس. وفي أثناء السفر ظلت تُقدِّم لابنها الرضيع الحليب الخاثر من الزجاجة فأصيب الولد بألم ورغم خضوعه لأنواع العلاج – حيث عالجه الدكتور نفسُه وعرضه للأطباء الآخرين أيضا للعلاج – لم يُشفَ ومات بعد أسبوعين من الإصابة. فأصيبت الأم بصدمة كبيرة لكونه الصبي الوحيد لها. يقول الدكتور: عندئذ تذكرتُ قولي الذي كنت قد قلته قبل ستة أو سبعة أعوام بأنها ستلد صبيا ويموت أمام عيني ليبطل شركها، وهكذا حدث.

فهؤلاء أناس كانوا يحمون أنفسهم من كل شرك خفي كما كانوا يعرِّفون الآخرين بالذات الإلهية الحقيقية ليُنجوهم أيضا من الشرك. كانت قلوبهم عامرةً بذكر الله ﷻ، وكانت القوة القدسية لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام قد جلَّت إيمانَهم أكثر. تذكَّروا على الدوام أن علاج الطبيب لا يفيد إلا حين يرضى الله الشافي، فنحن بحاجة إلى الدعاء متوسلين إلى الله تعالى بذكر صفته هذه. لا شك أن الله تعالى قد خلق لكل داء دواءً. فهذه الأودية التي يكتشفها الباحثون يوما بعد يوم فإنهم يستفيدون من الأشياء التي خلقها الله ﷻ. فقد خلق الله ﷻ أعشابا كثيرة، كما أن هناك حشرات مختلفة وبعض الحيوانات السامة أيضا قد أودع الله سمومها شفاءً. فمن سم الأفاعي تُصنع الأدوية، فالسم إذا دخل جسم الإنسان مباشرة بلدغ الأفعى يكون قاتلا لكن السم نفسه حين يستخدَم دواءً فيشكل ترياقا. فمن منة الله ﷻ علينا أنه هيأ لنا الأدوية للعلاج ثم وهب الإنسان عقلا لاستخدامها المناسب. لقد ذكر القرآن الكريم العسلَ بصفة خاصة في ذكر الأمراض والشفاء ووصَفه بقوله: ﴿شفاءٌ للناس﴾.

وهذا ما تنبّه إليه غير المسلمين أكثر من المسلمين أنفسهم. فهناك بحوث جارية على قدم وساق حول العسل وأنواعه وخواصه وما يركَّب منه من مركَّبات مختلفة مثل الغذاء المَلَكي، وما له من خواص مختلفة. فباختصار، هناك بحوث كثيرة جارية حوله في العالم في شتى المجالات. ولقد رُكِّب منه الدواء Cocculus في طب الهوميوباثي، كما تركَّب منه المراهم المختلفة. ولقد أثبتت التجارب أن هذه المراهم تؤدي إلى اندمال الجروح التي ما كادت لتندمل بأي مرهم آخر.

ولكن في هذه الأيام هناك ديدان تهاجم شمع النحل، وهذا أدى إلى إثارة قلق شديد في صفوف الباحثين حول العسل وكذلك في صفوف مربّي النحل. وهذا ما يحدث على نطاق واسع في بلاد مختلفة في العالم وليس في بلد واحد. وإن هجمات هذه الديدان تؤدي إلى هلاك النحل. من المعلوم أن هناك وسائل كثيرة لحماية شمع النحل، فهناك على سبيل المثال سائل مضاد للفيروسات موجود على الشمع الذي يخلّص النحلة من الفيروسات قبل دخولها إلى الشمع. ولكن هذه الديدان تقوم بالهجوم خارقةً كل أسباب الحماية هذه وتتسبب في هلاك النحل. وكما قلت من قبل، إن هذا الأمر قد أدى إلى إثارة القلق لدى الباحثين حول العسل كذلك لدى مربّي النحل. وهناك بحوث جارية على قدم وساق للتوصل إلى طريقة للقضاء على هذه الديدان. ويقول البعض بأنه لو بقي الحال على هذا المنوال لأدى ذلك إلى تقليل عدد النحل إلى حد كبير في غضون بضع سنوات مقبلة أو سيُقضى عليها نهائيا في بعض الأماكن. ولكنني أرى أن ظنونهم القائلة بانعدام النحل أو العسل من وجه الأرض خاطئة حتما، وذلك لأن الله تعالى قد ضرب في القرآن الكريم مثل العسل. وفي ذلك ضمان كاف على أنه لن ينعدم. وكما أنه من المقدر أن

يبقى القرآن الكريم إلى نهاية الدنيا كذلك فإن الأشياء التي أخبرنا الله تعالى عنها بواسطة القرآن الكريم بما فيها الشفاء المذكور في القرآن الكريم ستبقى. ولكن من الممكن أن يقللها الله في بعض المناطق إظهارا لقدرته أو عقوبة لأهلها بسبب تماديهم في الشرك.

على الأحمديين أيضا أن يتقدموا في مجال هذه الأبحاث لأن للنحل علاقة متينة بالوحي، لذا فإن الله تعالى سيظل في عون المتمسكين بالوحي. ولهذا السبب أحضّ الأحمديين ليتقدموا في مجال الأبحاث حول النحل ويكتشفوا السبب الذي ساعد هذه الدودة في القضاء على النحل على نطاق واسع. لا أعرف بالتحديد فيما إذا كان أحد من الأحمديين يعمل في هذا المجال مسبقا، فإن كان فليخبرني.

وبالمناسبة أريد القول أيضا بأنني أحضّ الطلاب الأحمديين أن يتقدموا في شتى مجالات الأبحاث العلمية. إن هذا المجال لا يزال شاغرا في هذه البلاد بشكل متسارع هائل، والعالم بحاجة ملحة إلى هذه الأبحاث. فلو تقدم الأحمديون في هذا المجال لترسخت في البلاد المتقدمة أقدام المهاجرين القادمين من بلاد أخرى – أما الأحمديون القاطنون في هذه البلاد فيجب عليهم أن يخوضوا في هذه الأبحاث في كل الأحوال – هذا من ناحية ومن ناحية ثانية يمكنهم أن يلعبوا دورا هاما في تقدم بلادهم أيضا بسبب هذه الأبحاث.

على أية حال، كنت أتحدث أن الله تعالى قد خلق العلاج أيضا للأمراض المختلفة، وورد ذكر هذا الأمر في القرآن الكريم وفي الأحاديث أيضا. والآن أقدم بعض الأحاديث النبوية الشريفة حيث قال النبي ﷺ عن بعض الأشياء أنها بمثابة العلاج لبعض الأمراض.

عَنْ سَعْدٍ قَالَ: مَرِضْتُ مَرَضًا أَتَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا عَلَى فُؤَادِي، فَقَالَ: إِنَّكَ رَجُلٌ مَفْئُودٌ ائْتِ الْحَارِثَ بْنَ كَلَدَةَ أَخَا ثَقِيفٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ يَتَطَبَّبُ فَلْيَأْخُذْ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ فَلْيَجَأْهُنَّ بِنَوَاهُنَّ ثُمَّ لِيَلُدَّكَ بِهِنَّ.

(سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في تمرة العجوة)

ففي هذا الحديث أشار النبي ﷺ إلى أن العجوة مفيدة في مرض القلب.

وفي رواية عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: الشِّفَاءُ فِي ثَلاثَةٍ شَرْبَةِ عَسَلٍ وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ وَكَيَّةِ نَارٍ وَأَنْهَى أُمَّتِي عَن الْكَيِّ.

(بخاري، كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث)

وقد ورد في رواية أخرى، عَنْ خَالِدِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: خَرَجْنَا وَمَعَنَا غَالِبُ بْنُ أَبْجَرَ فَمَرِضَ فِي الطَّرِيقِ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَعَادَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ فَقَالَ لَنَا: عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحُبَيْبَةِ السَّوْدَاءِ، فَخُذُوا مِنْهَا خَمْسًا أَوْ سَبْعًا فَاسْحَقُوهَا ثُمَّ اقْطُرُوهَا فِي أَنْفِهِ بِقَطَرَاتِ زَيْتٍ فِي هَذَا الْجَانِبِ وَفِي هَذَا الْجَانِبِ، فَإِنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْنِي أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ الْحَبَّةَ السَّوْدَاءَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلا مِنَ السَّامِ. قُلْتُ وَمَا السَّامُ قَالَ الْمَوْتُ.

(صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الحبة السوداء)

وهناك رواية أخرى ورد فيها: عَنْ ...سَعِيد بْن زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ.

(صحيح البخاري، كتاب الطب، باب المنُّ شفاء للعين)

وفي رواية أخرى: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَطْفِئُوهَا بِالْمَاءِ.

(صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الحمى من فيح جهنم)

ولقد جاء في رواية أخرى أن النبي ﷺ كان مصابا بالحمى الشديدة فعاوده بعض صحابته فرأوا قِربة معلقة يقطر منها الماء على صدره. فهكذا قام النبي ﷺ بعلاج الحمى.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءً وَفِي الآخَرِ دَاءً.

(صحيح البخاري، كتاب الطب، باب إذا وقع الذباب في إناء)

لقد أخبرنا النبي ﷺ بذلك عن الذباب قبل ١٤٠٠ عاما، وقد شرع العلماء المعاصرون في البحث في هذا الموضوع وتوصلوا إلى نتيجة أن في جناح الذباب شيئا يقتل البكتيريا. ولقد كتب أحد الباحثين أنه قد تمت تجربة إغماس الذباب في Ethanol (أثانول، وهو نوع من الكحول) في المستشفى واستخدِم هذا الأثانول لقتل (Pathogen) نوع معين من البكتيريا فظهر له رد فعل مضاد للبكتيريا وأدى إلى قتلها.

وهناك بحث آخر قام به برفسور في جامعة طوكيو في اليابان جاء فيه أن الناس سيحتارون في أمرهم حين يرون في المستقبل القريب استخدام الذباب في المستشفيات لقتل البكتيريا. ولقد اكتُشف أن في الذباب شيئا يخلق المناعة في الجسم. لقد انتقل ذهن العلماء إلى القيام بهذه البحوث حول الذباب حين وجدوا أن الذباب يقَع عادة على القاذورات والأوساخ ويحمل جراثيم الأمراض المختلفة بما فيه الكوليرا، ولكن الغريب في الأمر أن الذباب لا يتأثر بتلك الجراثيم أو الأمراض. فهذا الأمر شدّ انتباههم إلى الأبحاث حول الذباب فوجدوا أن فيه مادة مبيدة للجراثيم البكتيرية. ووجدوا أيضا أنه عندما يقع الذباب في سائل مثل الماء أو الحليب أو غيرهما يُفسده فورا بسبب الجراثيم المرَضية إذ تؤثر فيه الجراثيم الملتصقة بجناحه. ولكن لو غُمس الذباب لخرج منه

أنزيم Enzyme (مادة كيمياوية عضوية تغيّر غيره ولا تتغير) تقتل البكتيريا حولها بسرعة هائلة.

فهذه هي عظمة إله الإسلام الشافي الذي علّم نبيَّه أساليب العلاج قبل ١٤٠٠عاما والتي تقوم الدنيا اليوم بالأبحاث حولها. ولكن رغم الإشارة إلى كل هذه الأنواع من العلاج فقد وجّه النبي ﷺ أنظار أتباعه وأكد لهم أن العلاج الحقيقي هو الدعاء والصدقة أي يجب أن تدعوا الله تعالى وتتصدقوا أيضا إلى جانب العلاج المادي.

لقد ورد في الحديث الشريف: داووا مرضاكم بالصدقة وحصنوا أموالكم بالزكاة فانها تدفع عنكم الأعراض والأمراض

(كنز العمال، رقم الحديث ٢٨١٨٣) والديلمي – عن ابن عمر).

وفي حديث آخر: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي لا شِفَاءَ إِلا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا.

(صحيح البخاري، باب رقية النبي ﷺ)

فهذا هو الأصل الذي يجب أن يؤمن به كل مؤمن إيمانا كاملا، أي لا شك أن الله تعالى هو الذي أمرنا بالعلاج فنقوم به بحسب أمره ﷻ وإرشاده، ولكن لا بد أن يكون اعتمادنا على الله وحده دائما لأن الله تعالى هو الشافي الحقيقي. وعندما تبطل جميع أنواع العلاج فالله تعالى يشفي عباده بسبب الدعاء. ونجد أحداثا كثيرة من هذا القبيل في حياة النبي ﷺ وفي حياة أصحابه رضوان الله عليهم وفي حياة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وأصحابه أيضا بل نرى بفضل الله تعالى معجزات الشفاء الخارق ومعجزات إحياء الموتى إلى يومنا هذا. فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ بِوَلَدِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ بِهِ

لَمَمًا وَإِنَّهُ يَأْخُذُهُ عِنْدَ طَعَامِنَا فَيُفْسِدُ عَلَيْنَا طَعَامَنَا قَالَ فَمَسَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَدْرَهُ وَدَعَا لَهُ فَتَعَّ تَعَّةً فَخَرَجَ مِنْ فِيهِ مِثْلُ الْجَرْوِ الأَسْوَدِ فَشُفِيَ.

(مسند أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن العباس)

وفي رواية أخرى: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ مَا هَذِهِ الضَّرْبَةُ فَقَالَ هَذِهِ ضَرْبَةٌ أَصَابَتْنِي يَوْمَ خَيْبَرَ، فَقَالَ النَّاسُ: أُصِيبَ سَلَمَةُ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَنَفَثَ فِيهِ ثَلاثَ نَفَثَاتٍ فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ.

(صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر)

كذلك نجد أحداثا مماثلة في العصر الراهن في حياة المسيح الموعود، المحب الصادق للنبي ﷺ أيضا. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"ذات مرة أصيب سردار عبد الرحيم خان ابن سردار نواب محمد علي خانْ رئيس ماليركوتله بالحمى الشديدة و لم يبق أمل في بقائه على قيد الحياة، وكان في حكم الأموات، ولّما دعوت له تبين أن القضاء مبرَم. عندها التمست في حضرة الله وقلتُ: يا ربي أنا أشفع له. فقال الله تعالى في الجواب: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه"، فسكتُّ. وعلى إثر ذلك تلقيت إلهاما جاء فيه: "إنك أنت المجاز"، ثم دعوت الله تعالى بتضرع وابتهال شديديْن فاستجاب الله دعائي؛ فبدت على الولد آثار الصحة وكأنه خرج من القبر. وكان قد نحَف إلى حد كبير حتى استعاد صحته المعهودة بعد مدة مديدة وشفي تماما، ومازال على قيد الحياة.◈

◈ إلى وقت كتابة تلك السطور. (المترجم)

يقول المولوي شير علي ﷺ: في عام ١٩٠٤م مرض السيد مفتي محمد صادق مرضا شديدا وطرأت عليه حالة من المرض والضيق بحيث ظنت زوجته أنه في لحظات أخيرة من حياته. فجاءت إلى المسيح الموعود عليه السلام تبكي وتُوَلْوِل. فأعطاها المسيح الموعود قدرا نزيرا من المسك وقال لها: ناوليه إياه وأنا سأدعو له. قال عليه السلام ذلك وتوضأ في الحال وقام للصلاة. كان الوقت صباحا. أُعطِي حضرة المفتي مسكا، فبدأت حالته تتحسن حتى تماثل للشفاء في غضون فترة قصيرة.

يقول منشي ظفر أحمد: ذات مرة جاء السيد محمد أحسن أمروهي المحترم بأحد أقاربه من مدينة أمروهة إلى قاديان. كان الشخص ضخم الجثة ويبلغ من العمر ٦٠ أو ٧٠ عاما، وكان ثقيل السمع إلى حد كبير فكان يضع أنبوبا مطاطيا في أذنه ليسمع كلام الناس. وإذا تحدث أحد بصوت عال سمع منه شيئا. ففي أحد الأيام ألقى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام خطابا وكان هذا الشخص جالسا في المستمعين. فقال له عليه السلام: يا سيدي! أنا لا أسمع شيئا قط فادعُ لي حتى أتمكن من سماع خطابكم. فأدار حضرته عليه السلام إليه وجهه الكريم أثناء الخطاب وقال: "الله تعالى قادر". فانقشعت ثقل السمع على الفور وبدأ يسمع للتو وقال: يا سيدي أنا أسمع الآن خطابكم جيدا. ثم أزال الأنبوب.

يقول ميان نذير حسين ابن الحكيم مرهم عيسى: عندما وُلد أول صبي - أي والدنا الحكيم مرهم عيسى - عند ميان جراغ دين، لم يكن الصبي يتكلم ولا يمشي حتى في السنة الخامسة من عمره. وفي إحدى المرات - حين كان المسيح الموعود عليه السلام موجودا في لاهور- قال جدنا المحترم لحضرته عليه السلام: يا سيدي! إن لي ابنا واحدا وهو أصم وكسيح أيضا، فادعُ له من فضلك ليُشفى. قال حضرته: أحضرِ الولدَ يا صاحبي. فأخذ عليه السلام الحكيمَ مرهم عيسى في حضنه

ودعا طويلا. وقال: سوف يُشفى هذا الولد إن شاء الله. ثم عندما زار حضرته عليه السلام لاهور في المرة التالية قال لميانْ جراغ دين: لقد استجاب الله دعائي، وإن ابنك هذا سوف يكون متكلما ومشّاءً. يقول الراوي: لقد استغربنا كلما رأيناه يتكلم سريعا وبصوت عال حتى حين كان بالغا من العمر سبعين إلى ثمانين عاما.

يقول الشيخ زين العابدين رضي الله عنه: حضرتُ إلى قاديان مرة، ورأيت المسيح الموعود عليه السلام يتمشّى في الغرفة المستديرة. كنت عندها مصابا بسعال شديد، وكنت قد تلقيت علاجا كثيرا، ولكن السعال لم يتوقف بأي دواء أو علاج. فقال حضرته عليه السلام، كما كانت عادته: يا ميان زين العابدين ما الذي جاء بك إلى هنا؟ قلت: يا سيدي! أنا مصاب بسعال شديد لدرجة أنه عندما أُصاب بنوبة شديدة منه لا أعرف هل سأتنفس نفَسا آخر أم لا. فقال: منذ متى وأنت مصاب به؟ قلت: منذ ستة شهور. قال: لِمَ لم تخبرني به إلى الآن؟ لقد صار الآن مزمنا. ثم قال عليه السلام: أتريد علاجَ الأغنياء أم الفقراء؟ قلتُ: كما تراه مناسبا يا سيدي. قال: الفلاحون فقراء عادة. على أية حال كم معك من النقود للعلاج؟ قلت: خمس روبيات. قال: هاتها. فقدمتها إليه عليه السلام. ثم قال: يمكن أن تذهب الآن، ولن تصاب بالسعال بعد الآن. وكان من عادتي أن أقول دون أدنى تكلف كل ما يخطر ببالي، وكان حضرته يعرف أن الفلاح بسيط عادة؛ فما كان ينزعج من كلامي. فقلت: هل لديك سحر حتى يكفي قولك وحدَه لإزالة السعال؟ قال: لقد قلت لك إن المرض لن يعاودك ثانية، وهذا يكفي. وفي أثناء ذلك جاء أخي السيد حامد علي بعد برهة من الزمان. فقال حضرته عليه السلام مخاطبا إياه: لقد أخذتُ من أخيك خمس روبيات، وقلت له بأن السعال لن يعاودك ثانية، ولكن أهل القرى لا يطمئنون ما لم

يُعطَوُا الدواء. فاشترِ له من السوقِ السوسَ بمليمينِ، واللوز بمليمينِ وحب الهيل بمليمينِ والزبيب بمليمينِ. وحين أحضر هذه الأشياء – علما أن الإنسان في تلك الأيام كان يستطيع أن يشتري كمية لا بأس بها بمليمينِ اثنينِ – صنع منها حضرته الحبات بنفسه. ثم قال: يا ميان زين العابدين سوف يزول بها سعالك وستتحسن صحتك أيضا. والحق أن السعال قد زال مسبقا، فخذ هذه الروبيات الخمس واشتر بها الزبدة وكُلْها حتى تتحسن صحتك. فقلت لحضرته بإصرار شديد أن يبقي النقود عنده ولكنه رفض بشدة.

أقول: طبعا لم يكن حضرته بحاجة إلى سعر الدواء، بل كان ذلك أسلوبه لإظهار الحب والود لمريديه. إذن، فالأصل هو اليقين الكامل بذات الله تعالى بأنه هو الشافي الحقيقي. والعلاج أيضا لا ينفع إلا بإذنه تعالى.

لقد ورد في حديث شريف ما مفاده: إن الدواء ليس أكثر من محاولة تجريبية، ولا ينفع إلا بإذن الله تعالى كما قلت. إن سيدنا إبراهيم عليه السلام حين ذكر صفات الله تعالى وذكر أفضاله ونِعمه قال: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ (سورة الشعراء: ٨١) فبقوله "إذا مرضتُ" أشار إبراهيم عليه السلام إلى أن الإنسان يصاب بالأمراض أحيانا بخطأ منه..كما قلت في مستهل الخطبة.. فيؤخذ بأخطائه هو بحسب قانون الطبيعة. فقال عليه السلام بأن المرض يأتي من عندي والشفاء يأتي من عند الله تعالى. ولا شك أن الإنسان لا يحظى بالشفاء ما لم يحالفه فضل الله تعالى. و لا ينجو الإنسان ما لم يحالفه فضل الله مهما حاول ومهما تعالَج؛ فقال سيدنا إبراهيم عليه السلام بأنني أُصاب بالأمراض بسبب أخطائي وإن ربي يمنّ علي بالشفاء. وهذه الأدوية كلها تمثل فضل الله تعالى علينا، والشفاء الذي نحظى به باستخدامها فإنه أيضا يأتي من الله تعالى. لذا فهناك حاجة لجذب فضل الله للاستفادة من العلاجات. والمعلوم أن فضل الله

تعالى يأتي بالخضوع أمامه ﷻ. ثم يظهر الله تعالى صفته "الشافي" استجابة لأدعية عباده. وفي بعض الأحيان ينفعهم الدعاء وحده كما يتبين من أحداث سردها لكم.

فحري بالمؤمن أن يحاول إدراك جميع صفات الله تعالى. ندعو الله تعالى أن ننال معرفة صفاته تعالى، وندعوه أن يستجيب أدعيتنا ويشفي جميع المرضى، آمين.